رمضانيات

إعداد: ليلى الشافعي

إن من تأمل فساد أحوال العالم ـ عموما وخصوصا: وجد منشأ هذا الفساد عن أصلين:

الأصل الأول: الغفلة، فغفلة القلب تحول بين العبد وتصور الحق ومعرفته والعلم به، وعاقبة هذه الغفلة: أن يكون صاحبها من الضالين.

الأصل الثاني: الهوى، فهوى الجوارح يصد عن قصد الحق وإرادته واتباعه، وعاقبة هذا الهوى: أن يكون صاحبه من المغضوب عليهم.

ومن أنعم الله تعالى عليهم: فهم الذين من الله تعالى عليهم بمعرفة الحق علما، والانقياد إليه وإيثاره على ما سواه عملا، وهؤلاء هم الذين على سبيل النجاة، ومن سواهم على سبيل الهلاك، ولهذا أمرنا الله سبحانه أن نقول كل يوم وليلة عدة مرات: (اهدنا الصراط المستقيم (6) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

وإن العبد مضطر كل الاضطرار إلى أن يكون عارفا بما ينفعه في معاشه ومعاده، وأن يكون مؤثرا مريدا لما ينفعه، مجتنبا لما يضره، فبمجموع هذين: يكون قد هدي إلى الصراط المستقيم، فإن فاته معرفة ذلك: سلك سبيل الضالين، وإن فاته قصده واتباعه: سلك سبيل المغضوب عليهم، وبهذا يعرف قدر هذا الدعاء العظيم، وشدة الحاجة إليه، وتوقف سعادة العبد في الدنيا والآخرة عليه.

فالعبد مفتقر إلى الهداية في كل لحظة ونفس في جميع ما يأتيه ويذره، فإنه بين أمور لا ينفك عنها، فهو محتاج إلى هداية الصواب فيها، وأمور يعتقد أنه فيها على هدى وهو على ضلالة ولا يشعر، فهو محتاج إلى انتقاله عنها بهداية من الله، وأمور قد فعلها على وجه الهداية، وهو محتاج إلى أن يهدي غيره إليها ويرشده وينصحه، لأن الهداية للغير وتعليمه ونصحه: يفتح للهادي المعلم الناصح باب الهداية، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن هدى غيره وعلمه: هداه الله وعلمه، فيصير هاديا مهديا، كما في دعاء النبي ﷺ: (اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين).

وإن الله سبحانه وتعالى قد أثنى على عباده المؤمنين الذين يسألونه أن يجعلهم أئمة يهتدى بهم، فقال تعالى في وصف عباده: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما).

فسألوا ربهم تبارك وتعالى: أن يجعلهم مؤتمين بالمتقين مقتدين بهم، لأنه لا يكون الرجل إماما للمتقين: حتى يأتم هو بالمتقين، فهذا هو الوجه الذي ينالون به هذا المقصد المطلوب، وهو اقتداؤهم بالمتقين من قبلهم، فيجعلهم الله تعالى أئمة للمتقين من بعدهم.

والله سبحانه وتعالى قد أخبر: أن الإمامة في الدين: إنما تنال بالصبر واليقين، فقال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).

فالصبر الذي هو أحد الأسباب وأولها لبلوغ رتبة الإمامة في الدين: إنما يكون بتحقيق ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الصبر على أداء فرائض الله تعالى.

الأمر الثاني: الصبر عن اجتناب محارم الله تعالى.

الأمر الثالث: الصبر على قضاء وقدر الله تعالى.

وأما اليقين الذي هو ثاني الأسباب الذي تنال به رتبة الإمامة في الدين: فإنما يكون بالتصديق بالأخبار التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، تصديقا لا يخالطه ريب ولا شك.

فمن جمع بين الصبر واليقين: فقد ظفر بنيل الإمامة في الدين، ومن فقدهما أو أحدهما: فقد سلب هذه الإمامة.

شهر الانتصارات

فتح شقحب سنة 702 هجرية

وصل التتار إلى حمص وبعلبك وعاثوا في تلك الأراضي فسادا وقلق الناس قلقا عظيما وخافوا خوفا شديدا، وقال الناس لا طاقة لجيش الشام مع المصريين بلقاء التتار لكثرتهم وتحدث الناس بالأراجيف ونودي بالبلد ألا يرحل أحد منه فسكن الناس وجلس القضاة بالجامع وحلفوا جماعة من الفقهاء والعامة على القتال وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يحلف للأمراء والناس إنكم في هذه الكرة منصورون على التتار فيقول له الأمراء قل إن شاء الله فيقول إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى: (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور)، فاطمأن الناس وسكنت قلوبهم وأثبت الشهر (رمضان) ليلة الجمعة القاضي تقي الدين الحنبلي، فعلقت القناديل وصليت التراويح واستبشر الناس بشهر رمضان وبركته وأصبح الناس يوم الجمعة في هم شديد وخوف أكيد لأنهم لا يعلمون ما الخبر، واشتعلت الأراجيف بين الناس. وأصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من الخوف وضيق الأمر فرأوا من المآذن سوادا وغبرة من ناحية العسكر والعدو، فغلب على الظنون أن الوقعة في هذا اليوم فابتهلوا إلى الله عز وجل بالدعاء في المساجد والبلد، وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسر التتر، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف، وكثرة التتر لا يصدقون، فلما كان بعد الظهر قرئ كتاب السلطان إلى متولي القلعة يخبر فيه باجتماع الجيش ظهر يوم السبت بشقحب، ثم جاءت بطاقة بعد العصر من نائب السلطان جمال الدين آقوش الأفرم إلى نائب القلعة مضمونها أن الوقعة كانت من العصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد (2ـ3 رمضان)، وأن السيف كان يعمل في رقاب التتر ليلا ونهارا وأنهم هربوا وفروا واعتصموا بالجبال والتلال وأنه لم يسلم منهم إلا القليل فأمسى الناس وقد استقرت خواطرهم وتباشروا لهذا الفتح العظيم والنصر المبارك ودقت البشائر بالقلعة من أول النهار.

رمضانيات

ما الاحتساب؟ وماذا تعرف عنه؟ «2-2»

وقد جاء هذا المعنى قول الله تعالى: (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم. الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (آل عمران: 172ـ 175).

وليعلم المصاب ان الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها وهو في الحقيقة يزيد في المصيبة، بل ليعلم المصاب أن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضعف نفسه وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه وأرضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا هو الثبات في الأمر الديني قال النبي ﷺ: «اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر»، وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى».

وعلى المصاب ان يعلم ان ما يعقبه الصبر والاحتساب من الخير أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، بل يكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه على مصيبته فلينظر أي المصيبتين أعظم مصيبته العاجلة بفوات محبوبه أو مصيبته بفوات بيت الحمد في جنة الخلد؟

ومن المعروف أن الجازع وإن بلغ به الجزع غايته ونهايته فآخر أمره أن يصبر صبر الاضطرار وهو غير محمود ولا مثاب عليه فإنه استسلم للصبر وانقاد إليه على رغم أنفه.

قال تعالى: (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (البقرة: 156ـ157).

قال أهل التفسير: أي تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء. وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون، فقد استوجبوا في مصيبتهم عند ربهم ثلاثا الصلاة والرحمة والهدى، وإنه من استوجب على الله حقا بحق وفاه الله له ومن أوفى بعهده من الله؟

لماذا من المهم أن نحتسب الأجر في كل شيء؟

حتى نحقق الغاية التي خلقنا من أجلها، وهي عبادة الله تعالى، والفوز برضى الله ونعيمه، والنجاة من غضبه وعذابه. وإن حرصنا على احتساب الأجر في جميع أمورنا فسيجعلنا في عبادة مستمرة لا تنقطع فنكون بإذن الله قد قمنا بما خلقنا الله له.

إن الاحتساب هو: الطريق الموصل إلى محبة الله ورضوانه والدليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام وحصول السعادة في الدارين، والاحتساب في الطاعات يجعلها خالصة لوجه الله تعالى وليس لها جزاء إلا الجنة، وينفي عن صاحبه شبهة الرياء ويزيد من ثقته بربه، والاحتساب في المكاره يضاعف أجر الصبر عليها، ويدفع الحزن ويجلب السرور ويحول ما يظنه الإنسان نقمة إلى نعمة، والاحتساب دليل الرضا بقضاء الله وقدره ودليل على حسن الظن بالله تعالى. وهو علامة على صلاح العبد واستقامته وقوة ثقته بالله عز وجل.

قال الناظم:

ولست بغالب الشهوات حتى * * تعد لهن صبرا واحتسابا

فكل مصيبة عظمت وجلت * * تخف إذا رجوت لها ثوابا

وقال آخر:

من احتسب الأقدار أيقن فاستوت * * لديه منيخات ومنتظرات

هل المرء في الدنيا الدنية ناظر * * سوى فقد حب أو لقاء ممات

من روائع الخط العربي

محمد

(رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)

قطعة رائعة بخط الثلث للخطاط حامد الآمدي، وتضم الآية الكريمة: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم).